المسألة الرابعة: الفرق بين التوكل والتوكيل:

سبق بيان معنى التوكل، وأما التوكيل: فهو أن يُنيب الإنسان غيره في أمرٍ تجوز فيه النيابة، كما لو وكَّلت رجلا في شراء سيارة.

فهذا لا بأس به، وهو الوكالة التي يذكرها الفقهاء في أبواب المعاملات، ودل عليها الكتاب والسُّنة والإجماع.

ooo

بداية الدرس

ثم انتقل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى التدليل على أنواع أخرى من العبادات، فقال:

«وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]».

الشرح:

هذه ثلاث عبادات ساقها الشيخ بدليل واحد، وهي العبادة الخامسة والسادسة والسابعة: الرغبة والرهبة والخشوع. والكلام عليها في مسائل:

المسألة الأولى: في بيان معناها:

أولا: الرغبة:

قال الراغب: «والرَّغْبَةُ والرَّغَبُ والرَّغْبَى: السعة في الإرادة»[1].

(١) «المفردات» ص ٣٥٨.

وقال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرغبة محبة الوصول إلى الشيء المحبوب»[1].

ثانيا: الرهبة:

قال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مخافة، مع تحرُّز واضطراب»[2]، فهو خوف ينتج عنه هرب واحتراس وتحرز.

والرهبة طول الخوف واستمراره، ومن ثم قيل للراهب راهب؛ لأنه يديم الخوف.

والرغبة والرهبة معناهما قريب من الرجاء والخوف.

ثالثا: الخشوع:

الخشوع هو التَّطامُن والذل، ومنه قوله تعالى: ﴿**خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ**﴾ [القلم: ٤٣]، وأصله لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره، فإذا حصل هذا في القلب تبعه خشوع الجوارح؛ لأن القلب مِلك الأعضاء.

المسألة الثانية: دليل الرغبة والرهبة والخشوع:

ذكر الشيخ دليلا يجمع هذه العبادات الثلاث، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، هذه الآية في سورة الأنبياء في سياق الكلام على زكريا وآل بيته

(١) «شرح ثلاثة الأصول» للعثيمين ص ٥٩.

(٢) «المفردات» ص ٣٦٦.

- عليهم السلام-، قال تعالى : ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، فالله - عز وجل- أثنى على هؤلاء بهذه الصفات التي يُحبها ويُتعبد له بها: الرغب والرهب والخشوع؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، لكن يُلاحظ أن هذه الآية المذكورة قُيِّد الرغب والرهب فيها بالدعاء.

وقد ورد في هاتين العبادتين غيرُ هذه الآية؛ فمن ذلك قوله - عز وجل -: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٨]، وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، وهنا قدَّم الجار والمجرور، وعند علماء البلاغة تقديم ما حقه التأخير يقتضي الحصر، يعني أن الرغبة - التي هي على سبيل التعبُّد - لا تكون إلا لله، وفي الرهبة قال الله - تعالى -: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

ooo

ثم شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر دليل الخشية، فقال:

«وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ الآية [البقرة: ١٥٠]».

الشرح:

هذه العبادة الثامنة: الخشية، وفيها مسائل:

المسألة الأولى: معنى الخشية:

قال الراغب: «الخشية: خوفٌ يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن عِلم بما يُخشى منه»(١).

فالخشية أخص من الخوف؛ لأنها مبنية على التعظيم والعلم، كما قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

المسألة الثانية: دليل الخشية:

قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾: فأمَرَ الله بخشيته، وهذا يدل على محبَّتِه لذلك، ومحبَّتُه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للشيء دليل على أنه عبادة يُتقرب إلى الله بها.

والآيات في هذه العبادة متعدِّدَة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

---

(١) «المفردات» ص ٢٨٣.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، وغيرهما من الآيات.

المسألة الثالثة: مراتب الخشية:

يُقال فيها كما قيل في عبادة الخوف.

ooo

أمَّا دليل الإنابةِ، فقال فيه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ الآية [الزمر: ٥٤]».

الشرح:

هذه العبادة التاسعة: الإنابة، وفيها مسائل:

المسألة الأولى: معنى الإنابة:

الإنابة: الرجوع إلى الله - تعالى - بالتوبة وإخلاص العمل. فهي قريبة من معنى التوبة، لكنها أخص.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا استقرت قدمُه - يعني العبد - في منزل التوبة؛ نزل بعده منزل الإنابة ..»(١).

فهذا يُشعِر أن الإنابة منزلة أرفع وأخص من التوبة.

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٣٢).

والإنابة فيها زيادة معنى، وهو لزوم الطاعة، فالمنيب تائب ملازم للطاعة.

والإنابة نوعان:

الأول: إنابة لربوبيَّته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: وهي إنابة المخلوقات كلِّها. يشترك فيها المؤمن والكافر، والبرُّوالفاجر، قال الله - تعالى -: ﴿**وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ**﴾[الروم: ٣٣].

الثاني: إنابة لإلهيَّته: إنابة عبوديَّة ومحبَّة، وهي إنابة أوليائه.

المسألة الثانية: دليل الإنابة:

قوله تعالى: ﴿**وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ**﴾ [الزمر: ٥٤]، ففي الآية أمرٌ بالإنابة إليه، وأمر الله بالشيء يدل على محبته له، ومحبَّتُه تدل على أن ذلك الشيء عبادة، ولا يجوز صرفها لغيره - جل وعلا -.

ومما يدل - أيضا - على عدم جواز صرفها لغير الله: قولُه - تعالى - عن شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿**عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: ٨٨]، فهنا قدم الجار والمجرور، وتقديم ما حقه التأخير يُفيد الحصر، يعني إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنيب لا إلى غيره.

ooo

وأما دليل الاستعانة، فقال فيه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].
وَفِي الْحَدِيثِ: (... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ)».

الشرح:

هذه العبادة العاشرة: الاستعانة، وفيها مسائل:

المسألة الأولى: معنى الاستعانة:

الاستعانة معناها: طلب العون، وهي من دعاء المسألة؛ لأنها طلب وسؤال، فالعلاقة بينها وبين الدعاء أنها من دعاء المسألة.

المسألة الثانية: دليل الاستعانة:

ذكر آية وحديثا: أما الآية فقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ووجه الدلالة: تقديم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾، وتقديم ما حقُّه التأخير يُفيد الحصر، يعني: نستعين بك لا بغيرك. وأما الحديث: ففي وصية النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»(١).

المسألة الثالثة: أحوال الاستعانة:

الاستعانة لها أحوال:

(١) تقدم تخريجه.

الأولى: استعانة محرمة. ولها صور:

١- أن تكون شركا:

ومنه الاستعانة بالأموات أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته، كأن يطلب شخصٌ من الميت أن يُعينه على قضاء دَينه أو تفريج كربته أو شفاء مرضه أو نحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر.

٢- أن تكون محرمة لا تصل إلى الشرك:

بأن تكون الاستعانة على أمر محرم، كما لو استعان إنسانٌ بآخر على أن يشتري له خمرا أو نحو ذلك، فهذه استعانة محرمة.

الثانية: استعانة مكروهة:

وذلك إذا كانت الاستعانة على أمرٍ مكروه؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

الثالثة: استعانة مباحة:

وذلك إذا كانت الاستعانة على أمر مباح؛ فهذه جائزة للمستعين، مندوبة للمُعِين يُثاب عليها؛ لأنها من باب الإحسان وقضاء الحوائج، وهذا من أعمال الخير والبر.

الرابعة: استعانة مشروعة:

ويندرج فيها الواجب والمندوب، فقد تكون واجبة وقد تكون مندوبة، وأعلى صورها: الاستعانة بالله، بأن يطلب العبدُ العونَ والمددَ والتوفيق والتسديد مع كمال الذل والانقياد والخضوع، يطلب ذلك من ربه ويفوض أمره إليه ويعتقد أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَسْبُه وكافيه، وبيده ملكوت كل شيء، وبيده تصريف الأمور، فهذه أعلى درجات الاستعانة، وهذه من أعظم العبادات.

ومن صور الاستعانة المشروعة: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله؛ كالاستعانة بالصبر عند الشدائد، والاستعانة بالصلاة؛ كما قال تعالى: ﴿**وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ**﴾ [البقرة: ٤٥]، وأيضا في قوله ﷺ في الحديث: «**وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»(١).

ومن صور الاستعانة المشروعة: التعاون على الخير؛ كما قال الله – تعالى –: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٢]، يعني ليُعن بعضكم بعضا على البر والتقوى، وكما في الحديث قوله ﷺ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(٢).

○○○

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثم شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر دليل الاستعاذة، فقال:

«وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]».

الشرح:

هذه العبادة الحادية عشر: الاستعاذة، وفيها مسائل:

المسألة الأولى: معنى الاستعاذة:

الاستعاذة مأخوذة من الفِعل عاذ يَعُوذ عَوْذا وعِياذا ومَعاذا، أي: لاذ به ولجأ واعتصم، فالاستعاذة بمعنى اللجوء والاعتصام، و﴿أَعُوذُ﴾ يعني: ألتجئ وأعتصم بالله.

وهي نوع من أنواع الدعاء، والعلاقة بين الاستعاذة والدعاء أن بينهما عموما وخصوصا مطلقا، فكل استعاذة دعاء، وليس كل دعاء استعاذة؛ فالدعاء أعم والاستعاذة أخص؛ لأن الاستعاذة خاصة بدفع الضرر الواقع أو المتوقع.

فالضرر الواقع مثلُ ما جاء في الحديث: «**أَعُوذُ باللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(١)، وأما المتوقع كما في الدعاء المشهور: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ** ...»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٠٢)، من حديث عثمان بن أبي العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالاستعاذة خاصة بدفع الضرر المرهوب؛ سواءً كان واقعا أو متوقعا، أما الدعاء فإنه أعم؛ يشمل طلب دفع الضرر والشدة، وحصول الخير والمنفعة.

المسألة الثانية: دليل الاستعاذة:

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، ففيهما أمر الله - عز وجل - نبيه ﷺ بأن يستعيذ بربه ﴿رَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وهو الصبح، ورب الناس جميعا، وأمر الله بذلك يدل على محبته، ومحبته تدل على أنه عبادة من العبادات التي تُقرب إليه.

المسألة الثالثة: أنواع الاستعاذة:

تقع الاستعاذة على ثلاثة أنواع:

الأول: الاستعاذة المشروعة:

وهي الاستعاذة بالله - تعالى -، والتي تتضمن كمال اللجوء والذل والافتقار إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وما جاء من الاستعاذة بصفة من صفات الله كما جاء في قوله ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»[1]، وقوله ﷺ: «**أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»[2]، وقوله ﷺ: «**أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»[3]،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٠٨)، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٥٥٢٩)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وصححه الألباني، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

وقوله ﷺ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**...»[1]، وقوله ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**...»[2]، ونحوها؛ فهذا من باب التوسُّل بالصفة.

ثانيا: الاستعاذة الممنوعة:

ومن صُورِها: الاستعاذة بالأموات، بأن يلتجئ ويعتصم بالميت، ويسأله أن يُعيذه من الشر الواقع أو المتوقع.

وكذا الاستعاذة بالأحياء الغائبين، أو الحاضرين فيما لا يقدر عليه، فهذا من الشرك كما قال الله - عز وجل -: ﴿**وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾ [الجن: ٦].

ثالثا: الاستعاذة الجائزة:

وهي الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر القادر، كما جاء في بعض الأحاديث لما ذكَر النبي ﷺ الفتن قال: «**مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ؛ فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٢٨) وفي مواضع أخرى، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٠٨١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الحديث أيضًا «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَأُتِيَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَعَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ»(١).

هذا من حيث الأصل، أما إن ترتَّب عليها محذور فلها حكم آخر بحسب المقاصد في ذلك.

ooo

ثم شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان دليل الاستغاثة، فقال:

«وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ الآية [الأنفال: ٩]».

الشرح:

هذه العبادة الثانية عشرة: الاستغاثة، وفيها مسائل:

المسألة الأولى: معنى الاستغاثة:

الاستغاثة مصدر الفعل السداسي (استغاث)، والاسم: الغَوْث، ومعنى الاستغاثة: طلبُ الغوث، وهو: التَّخلِيص من الشِّدة والنِّقْمَة(٢)، مثل الاستعانة: طلب العون.

فمعنى طلب الغَوث: طلب التخليص من الشدة التي وقع فيها المرء.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٨٩)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) «تاج العروس» (٥/ ٣١٤).

والعلاقة بين الاستغاثة والدعاء يُقال فيها كما سبق في الاستعاذة؛ فالاستغاثة خاصة بكون المطلوب رفع الشدة الواقعة، وأما الدعاء فهو أعم؛ إذ يشمل رفع الشدة ودفعها، ويشمل - أيضا - طلبَ حصول ما فيه منفعة وخير؛ فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص مطلق؛ فالدعاء أعم مطلقا، وكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة.

المسألة الثانية: دليل الاستغاثة:

• ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ...﴾ [الأنفال: ٩]، ووجه الدلالة أن الله - تعالى - ذكر عنهم هذا الفعل في مقام الثناء؛ حيث رتَّب سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عليه الاستجابة لهم، وهذا يدل على محبته له، وإذا كان محبوبا له فهو عبادة.

المسألة الثالثة: أنواع الاستغاثة:

يقال فيها كما قيل في العبادة السابقة (الاستعاذة).

ooo

أمَّا عبادة الذبح، فقال فيها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣]. وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١)».

الشرح:

هذه العبادة الثالثة عشر: الذبح، والكلام عليها في مسائل:

المسألة الأولى: معنى الذبح:

الذبح هو: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص.

المسألة الثانية: دليل الذبح:

ذكر الشيخ آية وحديثا: فالآية هي قولُه تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والشاهد قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾، أي: ذبحي لله وحده لا لغيره، فيكون معنى الآية: قل إن صلاتي ونسكي لله استحقاقا، ومحياي ومماتي لله مِلكا وتصرفا.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٧٨)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والحديث: «**لَعَنَ اَللَّهُ من ذَبَحَ لِغَيْرِ اَللَّهِ**»[1]، واللَّعْن هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، نسأل الله العافية.

المسألة الثالثة: أقسام الذبح:

الذبح قسمان:

الأول: أن يكون الذبح على وجه التقرب والتعبد. وهذا له صورتان:

١- أن يكون لله - تعالى -. وهذا من أعظم القُرَب، ومما يدل على منزلة هذه العبادة أن الله - تعالى - قرنها بالصلاة في موضعين من كتابه.

والذبح لله - تعالى - تعبدا؛ قد يكون:

واجبا: كهدي التمتع، والوفاء بالنذر.

وقد يكون مسنونا: كالأضحية والعقيقة على مذهب الجمهور.

٢- أن يكون لغير الله - تعالى -. وهذا شرك أكبر مخرج من الملة، ومن أمثلته: الذبح عند قبور الأولياء والصالحين تقربا إليهم؛ فهذا شرك ولو ذكر اسم الله عليه. أما لو ذبح لله عند القبر فهذا بدعة وليس شركا.

ومن الأمثلة: الذبح بأمر السحرة والدجالين للجن ونحوهم؛ لأجل تحقيق ما يراد منهم.

---

(١) تقدم تخريجه.

الثاني: أن يكون الذبح لا على وجه التقرب والتعبد. وهذا له صور؛ منها:

١- الذبح لأجل الأكل. قال تعالى: ﴿**وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [النحل: ٥]، وهذا مباح، وقد يثاب عليه إذا نوى النفقة على أهله.

٢- الذبح لإكرام الضيف. كما يقال: جاءني ضيف فذبحت له شاة.

وهذا مندوب؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»[١].

٣- الذبح للتجارة. كمن يذبح شياها أو بقرا أو إبلا ثم يبيع اللحم، بقصد الربح.

لكن يشترط في الصور السابقة ما يذكره الفقهاء في أحكام الذكاة.

فموضوع الذبح يتعلق به جانب اعتقادي وجانب فقهي.

ooo

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٠١٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٤٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وآخر العبادات التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو النذر، وقال فيه:

«وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]».

الشرح:

هذه العبادة الرابعة عشرة: النذر، والكلام عليها في مسألتين:

المسألة الأولى: معنى النذر:

النذر في الاصطلاح هو: إلزام مُكلَّفٍ مختارٍ نفسَه لله - تعالى - شيئا لا يلزمه بأصل الشرع[1].

أي: أن يُلزم المكلفُ نفسَه بشيء لا يلزمه بأصل الشرع لله - تعالى - بالقول، كأن يقول: لله عليَّ كذا وكذا. ونحو ذلك من العبارات التي تُفيد هذا المعنى.

المسألة الثانية: دليل النذر:

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾، ويُلاحَظ أن الآية أثنت على الموفِين بالنَّذر لا على الناذرين؛ فالوفاء بالنذر عبادة؛ لأن الله أثنى على ذلك، وثناؤه يدل على محبته لهذا الشيء، وهذا يدخل في ضابط العبادة، فالوفاء بالنذر من العبادات.

---

(١) «الإقناع» (٤/ ٣٥٧)، وهو لغة: الإيجاب، كما في «القاموس المحيط» ص ٤٨١، مادة «نذر».

أما النذر وأقسامه وتفاصيل أحكامه فهذه محلها كتب الفقه؛ حيث عقدوا لذلك بابا مستقِلًّا، والله أعلم.

○○○

المبحث الثاني: الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام، وبيان مراتبه:

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ. وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ».

الشرح:

هذا هو الأصل الثاني من الأصول الثلاثة وهو: «مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ». **والإسلام قسمان:**

الأول: الإسلام الكوني:

ويراد به الاستسلام لحكم الله الكوني، وهذا عامٌّ لكل من في السموات والأرض، يشمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر، ولا يخرج أحد عما أراده الله.

ودليل ذلك قوله - عز وجل -: ﴿**وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٣]، وهذا لا يتعلق به ثواب ولا ثناء.

الثاني: الإسلام الشرعي: وهو الاستسلام لحكم الله الشرعي.

فيثبت هذا الإسلام لمن أطاع الله واتبع المرسلين، فمن اتبع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فهو مسلم، ومن اتبع عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فهو مسلم، وهكذا. قال الله - عز وجل -: ﴿**أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال سبحانه:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤].

وهذا الإسلام الشرعي نوعان:

١- **إسلام عام**: وهو الاستسلام لحكم الله الشرعي، وهذا لمن أطاع الله واتَّبع المرسلين.

٢- **إسلام خاص**: وهو الدِّين الذي بُعث به محمد ﷺ، وهو ثلاث مراتب كما سيذكر المؤلف.

- **تعريف الإسلام:**

عرَّف الشيخ الإسلامَ بثلاث جمل:

الأولى: «الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ»: يعني الانقياد والإذعان لله - عز وجل - بتوحيده بأنواع التوحيد الثلاثة، وهذا هو الإسلام الشرعي، ولا تثبت قدم الإسلام إلا على قنطرة التسليم. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

الثانية: «وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ»: بفعل الأوامر واجتناب النواهي، فالمسلم مُنقاد يسمع ويُطيع لله ورسوله. والنصوص في الأمر بطاعة الله ورسوله ﷺ كثيرة جدًّا.

الثالثة: «وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ»: لا يكفِي أن يلتزم بالتوحيد وينقاد بالطاعة، بل مع ذلك يتبرأ من الشرك، ويتبرأ من أهله لشركهم، قال الله – تعالى –: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: ٤].

○○○

ثم شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان مراتب دين الإسلام، فقال:

«وَهُوَ ثَلاثُ مَراتِبَ: الإِسْلامُ وَالإِيمانُ والإِحْسانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَها أَرْكانٌ».

الشرح:

الإسلام الذي جاء به نبينا محمد ﷺ، بالمعنى العام يندرج تحته «ثَلاثُ مَراتِبَ: الإِسْلامُ وَالإِيمانُ والإِحْسانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَها أَرْكانٌ»، ودلَّ على ذلك حديثُ جبريل الطويل، كما سيذْكُره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

○○○

ثم شرع بعد ذلك يذكر أركان كلِّ مرتبة من هذه المراتب الثلاث، فقال:

«فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهادَةُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقامُ الصَّلاةِ، وإِيْتاءُ الزَّكاةِ، وَصَوْمُ رَمضانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرامِ».

الشرح:

ودليل ذلك حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

ooo

ثم شرع المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ في ذكر أدلة هذه الأركان، فقال:

«فَدَلِيلُ الشَّهادَةِ: قَوْلُهُ تَعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]».

الشرح:

هذه الآية استشهد الله فيها بنفسه، وبملائكته المُسبِّحة بقُدسِه، وبأهل العلم من جِنِّه وإنسِه؛ على أعظم مشهود وهو التوحيد (لا إله إلا هو).

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

وهذا فيه فضل أهل العلم وعُلُوِّ مكانتهم عند الله؛ أن الله استشهد بهم على هذا الأمر العظيم.

○○○

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمَعْناها: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، «لَا إِلَهَ» نافِيًا جَمِيْعَ ما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، «إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا العِبادَةَ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ فِي عِبادَتِهِ، كَما أَنَّهُ لا شَرِيْكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ».

الشرح:

هذا معنى كلمة التوحيد نفي وإثبات؛ نفي جميع المعبودات من دون الله، وإثبات العبادة لله وحده لا شريك له، فجميع ما يُعبد من دون الله فهو باطل؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

فـ «لا» نافية للجنس و «إلَه» اسمها، وتقدير الخبر: حَقٌّ، أي: لا إله حقٌّ إلا الله، «لا إله» يعني: لا معبود، فيكون معناها: لا معبود حقٌّ أو لا معبود بحقٍّ إلا الله وحده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

○○○

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَتفْسِيْرُها الَّذِي يُوَضِّحُها قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]، وَقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]».

الشرح:

- هذا يُوضِّح ما سبق، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾، هو: نبي الله وخليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أحد أُولي العزم الخمسة، وأفضل الرسل بعد نبينا ﷺ، وهو الذي نال مرتبة الخُلة، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، ولم يَنَلْها أحدٌ من خلقه إلا هو ومحمدٌ ﷺ.

﴿لِأَبِيهِ﴾ آزر، ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾ عبَّاد الأصنام، ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذه الجملة تُقابل النفي في كلمة التوحيد «لا إله».

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ تقابل الإثبات في كلمة التوحيد «إلا الله».

وقوله: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، يعني: خلقني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾، يعني: سيَدُلُّني على الحق، ويوفِّقُني لسلوكه واتِّباعه.

وجعل إبراهيمُ هذه الكلمة (كلمة التوحيد) التي فيها البراءة من المعبودات الباطلة وإثبات العبادة لله وحده لا شريك له، ﴿جَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إليها ويجتنبون الشرك.

وكذلك الآية الأخرى، قولُه - عز وجل -: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الأمر والخطاب فيها للنبي ﷺ، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، ما هي هذه الكلمة؟ ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، هذا هو التوحيد (لا إله إلا الله)؛ فالمعبودات باطلة والشرك به باطل، والحق هو إفراده بالعبادة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فلا رَبَّ ولا معبود إلا الله، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، يعني: أعرضوا واستكبروا واستنكفوا عن هذه الكلمة وهذا التوحيد فلا يضركم هذا شيئا ولا يُثْنِيَنَّكم، ﴿فَقُولُوا۟﴾ أعلنوا واصدعوا بالحق ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، يعني: أننا ثابتون على هذا الإسلام الشرعي الصحيح الذي هو توحيد الله - تعالى -، ونفي الشرك به.

هذا هو معنى الكلمة العظيمة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

○○○

ثم انتقل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بيان دليلِ الشق الثاني من الشهادة، فقال:

«وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]».

الشرح:

الشهادتان رُكن واحد؛ فهذا هو الشق الثاني للرُّكن الأول من أركان الإسلام، فقوله - عز وجل -: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، يعني: منكم، تعرفونه، وتعرِفُون أصلَه ونسَبَه فيكم، فليس غريبًا عنكم، وإنما هو من أنفُسِكُم.

وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، يعني: يشُق عليه ما يشُق عليكم؛ فما تجدونه من المشقة والمكروهات والشدائد يشُق عليه ذلك.

وأيضًا ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، حريص على إيمانكم وإسلامكم وصلاح أموركم، وهو ﷺ ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وأما بمخالفيه من الكفار والمنافقين فكما قال الله - عز وجل -: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

○○○

ثم انتقل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بيان معنى ولوازم الشق الثاني من الشهادة، فقال:

«وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزجَرَ، وألا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ».

الشرح:

شهادة أنَّ محمدا رسولُ الله، معناها: الإيمان بالقلب والإقرار باللسان أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي مرسَلٌ من عند رَبِّه، وأنه مبعوث بهذا الدين، أرسله الله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، أرسله إلى الإنس والجن جميعا.

وأنزل الله عليه كتابا مُبارَكا، وأوجب على الناس اتباعه وطاعته، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

ومقتضى هذه الشهادة: «طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وزَجَرَ، وألا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ».

«طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ»: بأن تُمتَثَل أوامرُه، وتُجتنب نواهيه.

«وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ»؛ لأنه الصادق المصدوق ﷺ، فكل ما أخبر به وثبت عنه، فيجب تصديقه في ذلك.

«وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ»، فقد سدَّ اللهُ - عز وجل - كلَّ طريق إليه إلا من طريق رسوله ﷺ، فلا يُقبَل العملُ إلَّا ما كان خالصا لله موافقا لسنة رسول الله ﷺ.

ومع ذلك فهو عبدٌ لا يُعبد، ورسولٌ لا يَكذِب ولا يُكذب، وهو رسول رَبِّ العالمين، ولا يجوز أن يُغَضَّ من مكانته، كما لا يجوز - أيضا - أن يُرفع فوق قدرِه، فهو بَشَرٌ وعَبْدٌ لله لا يملك نفعا ولا ضرًّا إلا ما أقدره الله عليه، فلا يجوز أن يُعبَد أو يُصْرَف له أي نوع من أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فلا يجوز دعاء النبي ﷺ أو صَرفُ شيء من أنواع العبادة له، بل هو واسطة بلَّغ دِيْنَ اللهِ إلى عباد الله.

- **ويدخل في عدم تحقيق مقتضى الشهادة بالرسالة عدة صور؛ منها:**

أولا: الإعراض عما جاء به النبي ﷺ، فلا يقبلُه إما لعدَمِ تصديق الأخبار، أو عدم طاعة الأوامر والنواهي.

ثانيا: أن يشرع في دين الله ما ليس منه، وما لم يأت به النبي ﷺ. فالدِّين قد كمل، والنعمة قد تمت، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

ثالثا: أن يُقدِّم قولَ غيرِه عليه. والواجب أن تُقدَّم سُنَّةُ النبي ﷺ، ولا يقدِّم عليها شيئا، لا رأيًا فقهيا ولا بحثا جدَلِيًّا، ولا ذَوقا ولا نظرا ولا حجة عقلية ولا كلامية ولا غير ذلك.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله - تعالى - يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشِّرك. لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلِك»[١].

○○○

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: ٥]».

الشرح:

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله؛ فالدليل على الأمر بالصلاة والزكاة وأنها من الدِّين، هذه الآية.

---

(١) «الصارم المسلول» ص ٥٦.

- وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: هذا فيه العبادة مع شرطها، وهو الإخلاص، فمن أشرك مع الله غيرَه فعبادتُه غير مقبولة، ﴿حُنَفَآءَ﴾: يعني مائلين عن الشرك إلى التوحيد والإيمان، ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: هذا من باب التأكيد، ومن باب عطف الخاص على العام؛ لأن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من العبادة.

وقوله: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما سبق من: عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ﴿ذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، يعني: دين الملة القيمة، دين الاستقامة وهو الدين الإسلامي، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام: ١٥٣]، فهذا فيه إشارة إلى أن هاتين العبادتين من الدين، وقد أُمر بهما.

ooo

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣]».

الشرح:

هذا الرُّكن الرابع من أركان الإسلام: الصيام، وهو الإمساك بنية عن المفطِّرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والدليل على أنه من الدِّين، وعلى وجوبه: هذه الآية.

- وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، أي: فُرِض ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وهذا يدل على أهمية الصوم ومكانته؛ فإنه كان مكتوبا مفروضا على من قبلَنا، وفي هذا - أيضا - تخفيف لهذه الأُمَّة حيث لم تُكلَّف بهذه العبادة لوحدها، وإنما شاركها في ذلك الأمم السابقة.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: فيه إشارة إلى الحكمة من الصوم، وهي حصول التقوى، والتقوى أصلُها في القلب ويظهر أثرُها على بقية الجوارح، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(١).

فالصوم صوم الجوارح: أن تصوم العين عن النظر الحرام، واللسان عن الكلام المحرم، والأُذن عن السماع المحرم، وهكذا بقية الأعضاء والجوارح.

○○○

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٠٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ودَلِيلُ الحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]».

الشرح:

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو: قصدُ مكَّةَ في زمن مخصوص لعمل مخصوص.

هذه الآية في سورة «آل عمران» نزلت في سياق قدوم وفد نصارى نجران، وقدوم الوفود كان في السنة التاسعة، ففَرضُ الحج في السنة التاسعة، وحجَّ النبيُّ ﷺ في السنة العاشرة.

والآية دليل على فرضية الحج، وأنه أحد أركان الإسلام، لكن هذا مُقيَّدٌ بالاستطاعة، فمن لم يستطع فلا شيء عليه، والله أعلم.

ooo

نهاية الدرس

ثم انتقل الشيخ إلى الحديث عن المرتبة الثانية من مراتب الدِّين، فقال:

«الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ».

الشرح:

هذه المرتبة الثانية من مراتب الدين الإسلامي: وهي الإيمان، والمرتبة الأولى: الإسلام، والعلاقة بين الإيمان والإسلام - كما قال المحققون -: أنَّهما